سيميائية العنوان في روايات سهيل إدريس

الباحث

حازم وحيد عبد المقصود علي

الدرجة: دكتوراه

عدد يونيو ٢٠١٨

يسعى هذا البحث إلى إلقاء الضوء على سيميائية العنوان في روايات سهيل إدريس، والتي شكل فيها صورة دلالية تركيبية؛من أجل البحث عن هوية النص العميقة التي تمتلئ بالمعاني والدلالات التي سعى الكاتب في إثارتها بقصد إظهار بنية النص ومضمونه بجانب إبداعه في توظيف العنوان داخل النص كنص موازٍ للنص الأساسي، ويعد سهيل إدريس من أبرز الكُتاب اللبنانيين الذين برزوا على الساحة الأدبية العربية في القرن العشرين خاصة عند صدور روايته الأولى **الحي اللاتيني** التي صنفت من أفضل مائة رواية في العالم، والتي تبعها برواية **الخندق الغميق** ثم رواية **أصابعنا التي تحترق،** وقد اهتم الكاتب بسيميائية عنوان المكان كمفتاح للوصول لبنية النص العميقة، حيث تمتع هذا المكان بالألفة والسكينة والمحبة التي شكلت حياته الشخصية والثقافية التي نمى فيها بين الشرق والغرب، ما دفع الباحث للكشف عن دلالة سيميائية العنوان في روايات سهيل إدريس.

وقد اهتمت الدراسات السيميائية في الآونة الأخيرة بشكل خاص بالعنوان، فجعلته كدال إشاري يمتلك العديد من الدلالات التي تلقي بظلالها على النص؛ لما له من أهمية ومكانة يمتلكها كمفتاح أساسي للوصول إلى بنية النص الأدبي العميقة بغرض تحليلها وتأويلها، ومن أبرز تلك الدراسات(كتاب: العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي – محمد فكري الجزار) (وبحث :العنوان في النص الأدبي أهميته وأنواعه– عبد القادر رحيم– جامعة بسكره الجزائر)، و(رسالة ماجستير: سيميائية العنوان في روايات عز الدين جلاوجي) و(رسالة دكتوراه : شعرية العنوان في الشعر الجزائر المعاصر – مسكين حسنية). ويخاطب العنوان القارئ كتمهيد للدخول في معترك النص، وإشارة لما هو داخله من موضوع رئيسي قد يكون هدفه، أو رمزا له، أو فكرة دلالية تحمل مضمونا معينا يصل بها إلى عرضها بجانب الأفكار الأخرى التي

يرغب في سردها وبيان دلالتها، التي تحتاج من الكاتب إيضاحها من خلال إشارته في العنوان، وما يمثله من أهمية للنصوص الأدبية (الشعر، النثر) بشكل عام، والرواية بشكل خاص، فالعنوان " كالنص بمثابة رسالة مصدرها مرسل موجهة إلى متلق وفق سنن لغوية محددة سلفا، يفككها المتلقي، ويؤولها بلغته الواصلة أو الميتالغوية "([1]).

وتطور العنوان تدريجيا مع تطور الحركة الأدبية، فبعد أن كان يشير العنوان لأحد فصول النص الأدبي أو أحد أركانه، أصبح يحمل ويشير ويرمز ويدل على القيم الاخلاقية والاجتماعية والإيديولوجية، لأن العنوان يعد علامة دلالية مصاحبة للنص الذي يطرح عدة تأويلات للقارئ، ويجيب عنها النص، بجانب إشارة الغلاف الخارجي للنص الذي يعد ترجمة لما يحتويه العنوان من دلالات غامضة، فينظر له من الوجهة السيميائية عبر زاويتين:

" تمثل الزاوية الأولى مستوى خارج نصي ويمثل حضور العنوان مستقلا عن النص وهو الوجه الظاهري والسطحي للعنوان، أما الزاوية الثانية فتمثل مستوى داخل نصي ويشير هذا المستوى إلى اشتغال العنوان وهو الوجه العميق والدال للعنوان داخل النص"([2]).

وقد ظهر العنوان بالعديد من المسميات منها عتبات النص، والنص الموازي، بل واعتبرت بعض الدراسات هذا العنوان " بمثابة سؤال إشكالي، بينما النص هو بمثابة

---

[1]- أحمد المنادي – النص الموازي – مجلة علامات ج٦١ –مج ١٦– جدة المملكة العربية السعودية – جمادي الأولى ١٤٢٨هـ مايو ٢٠٠٧م ص١٥١

[2]- فريزة أعمر رافيل – التشكيل الدلالي في رواية السمك لا يبالي لإنعام بيوض– منشورات الاختلاف – الجزائر– الطبعة الأولى٢٠١٣م– ص٨٠

إجابة عن هذا السؤال "([1]) ويتكون النص الموازي من ملحقات وعتبات داخلية وخارجية، تتحدث عن النص بالشرح والتفسير والتوضيح، كعتبة المؤلف، وعتبة الإهداء"([2]).

أما لفظة " العنوان " فقد أشارت في معناها إلى العديد من الدلالات على المستوى المعجمي، فهي من مادة عنن "عن الشي يعن ويعن عننا وعنوانا: ظهر أمامك، وعن يعن ويعن ويعن عنا وعنونا واعتن: اعترض وعرض"([3]) وهي توحي بالظهور والاعتراض والتعريض، والاثر ، والاستدلال.

ويعد العنوان بنية متماسكة لها أبعادها الفكرية والجمالية والفنية القابلة للتحليل والتأويل، وقد تنص لفظة العنوان عن اسم (شخصية ، زمن ، مكان ، جماد) أو شيئا يرمز إليه، أو ما يراه المؤلف من رؤية يعكس بها ما يريد الإشارة إليه من دلالات ظاهرة وخفية يفصح عنها العمل، الذي قد يكون عنوانا سياسيا أو اقتصاديا

---

[1]- جميل حمداوي – السيميوطيقا والعنونة – مجلة عالم الفكر – المجلد الخامس والعشرون – العدد الثالث – الكويت – يناير / مارس ١٩٩٧م – ص١٠٨

[2]- جميل حمداوي – شعرية النص الموازي(عتبات النص الأدبي)- دار نشر المعرفة – الرباط المغرب – ٢٠١٤ – ص٩

[3]- – ابن منظور(محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري) – لسان العرب– دار المعارف – القاهرة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.ص ١٣٣٩ – انظر : صالح العلي الصالح – أمينة الشيخ سليمان الأحمد – المعجم الصافي في اللغة العربية – دار الشرق الأوسط – الرياض السعودية – الطبعة الأولى ١٩٨٩ مص٤٤٣ – انظر :- جبران مسعود – معجم الرائد – دار العلم للملايين للنشر بيروت – الطبعة السابعة ١٩٩٢م.ص٥٦٥ – انظر القاموس المحيط – الفيروز آبادي – القاموس المحيط – مؤسسة الرسالة بيروت – الطبعة الثامنة ٢٠٠٥م – ص١٢١٧ – انظر المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية الطبعة الرابعة ٢٠٠٤م القاهرة وفيه "العنوان هو ما يستدل به على غيره" ص٦٣٢

أو اجتماعية أو علميا أو أي مجال آخر يريد الإشارة إليه، والتعبير عما يراه من طرح قضية ومحاولة معالجتها أو التنبيه على مخاطرها والأضرار التي قد تسببها وسبل الوقاية منها، فهو يقوم بوظيفة إيحائية تحمل العديد من الدلالات والإشارات الرمزية. وتتشكل طبيعة العنوان من نوعين:الأولى: إحالية والأخرى: مرجعية، وتشير تلك الطبيعة إلى كون العنوان " دال إشاري، وإحالي، يلمح إلى تداخل النصوص، استنساخا أو استلهاما، أو تحاورا "([1]) في حين تندرج صورة العنوان ضمن علاقات قائمة على المشابهة، أو المجاورة، أو الرؤيا، فيتجاوز العنوان مجازيا مع دلالات الفضاء النصي للغلاف، وتتصهر الصورة العنوانية اللغوية في الصورة المكانية لونا ورمزا"([2]).

ويمثل العنوان للكاتب " الاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول، يشار به إليه، ويدل به عليه، يحمل وسم كتابه"([3]) وهو كالرأس في الجسد لا يمكن أن يسير الجسد دونها، وبحكم التركيبة البنائية للعنوان فهو " يمثل نصا مضغوطا يحمل الكثير من الإيحاء والتكيف والدلالة يؤسس لتموقع إغرائي قادر على إثارة المتلقي وشده"([4]).

---

[1]- - جميل حمداوي – السيميوطيقا والعنونة – مجلة عالم الفكر – المجلد الخامس والعشرون – العدد الثالث – الكويت – يناير / مارس ١٩٩٧م .ص١٠٩.

[2]- - جميل حمداوي – شعرية النص الموازي(عتبات النص الأدبي)- دار نشر المعرفة – الرباط المغرب – ٢٠١٤م- ص٦٧

[3]- محمد فكري الجزار – العنوان وسيميوطيقا الاتصال – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٨م- ص١٥

[4]- ليندة جنادي – هبة مفتاحي- سيميائية العنوان في روايات محمد مفلاح (قصص الهواجس وشعلة المايدة أنموذجا) – رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة الجزائر ٢٠١٥م – ص٦٧

وتساعد دراسة العنوان على الدخول إلى النص من خلال " علاقته بالسياقات النصية في بنياته العميقة المتبدية من خلال الثنائيات الضدية"([1])، ويقوم العنوان بعدة وظائف أساسية في النص منها الإغراء والوصف والتعيين" يغدو العنوان وكأنه بنية رحمية تقوم بتوليد النص ، فتبدأ خيوط النص بالتجمع والانضمام بعضها إلى بعض مشكلة نسيجا مخلصا للعنوان"([2]).

وقد حمل عنوان **رواية الحي اللاتيني** مفارقة بين طياته تجمع ظاهرها ومضمونها الذي تحتويه، فتتجه جميع الذوات إلى النظر إلى هذا الحي كمكان رقي وتقدم يحلمون به عما يعيشون فيه؛ لتظهر المفارقة بين عنوان الرواية الذي يحدده الكاتب بباريس؛ مقارنا بينه وبين الأحياء التي توجد في بيروت، بل في دول الشرق.

فالكاتب منذ البداية يعلن عن تلك المفارقة بين الحقيقة والحلم الذي تمنى تحقيقه " أنحن حقا في الحي؟ أي فرق إذن ؟ حين كان يذكر أمامه اسم الحي اللاتيني كانت تنفر إلى مخيلته صور حي من أحياء بيروت القديمة، تقوم فيه بيوت متواضعة، أغلب الظن أنها من الخشب ما دام ساكنوها طلابا فقراء قدموا إلى العاصمة الفرنسية من مختلف أنحاء الدنيا طلبا للعلم "([3]) فيحدد مكان هذا الحي اللاتيني بالعاصمة الفرنسية؛ مبينا حالة الطلاب الذين يفدون إليه من جميع دول العالم؛ ليس كمكان تراثي بل كمكان يعد للعلوم والفنون التي لم تتواجد عند هؤلاء الطلاب الوافدين إليه،

---

[1]- توام عبد الله – التحليل السيميائي للخطاب الروائي (رواية كتاب الأمير – مسالك أبواب الحديد) لواسيني الأعرج نموذجا – رسالة ماجستير – كلية الآداب جامعة وهران الجزائر ٢٠٠٨/٢٠٠٩م – ص١٥٠

[2]- بسام موسى قطوس – سيميائية العنوان – مكتبة كنانة – وزارة الثقافة عمان الأردن – الطبعة الأولى ٢٠٠١م- ص ١٠٥

[3]- الرواية ص٩

موضحا دلالة أحياء بيروت ومعاناة أهلها المعيشية، في ظل إشارته لأهمية دور العلم.

وإن كان هذا يستدعي بعض التساؤلات التي يمكن طرحها في بداية الرواية التي منها: لماذا هذا الحي اللاتيني تحديدا؟ وما الميزات التي تجعله يتميز عن باقي الأحياء الغربية أو الشرقية؟ وما الفكرة الرئيسة التي أراد الكاتب التعبير عنها ومحاكاتها؟ ، فالعنوان بطبيعته يشير إلى عدة دلالات شديدة التنوع والثراء التي منها الرمزية ، فهو يمثل عتبة النص للقارئ باعتباره مفتاحا له يحاكي النص من أجل " تفكيك مكوناته قصد إعادة بنائها من جديد"([1]).

فعلى المستوى المعجمي يتكون العنوان من وحدتين (الحي ، اللاتيني) ويشير العنوان إلى بعض العلاقات الدلالية التي تحكمه، فالحي يعني " الواحد من أحياء العرب. الحيا : الخصب. وقيل المطر... الحي : الحق. والليٌ الباطل. الحي: كل متكلم ناطق لاحي عنه : لامنع منه أرض حية: مخصبة " ، والحي" بكسر الحاء والحيوان محركة والحياة والحيوة بسكون الواو نقيض الموت، حيي كرضى حياة، وحي يحي ويحيا والحياة الطيبة الرزق الحلال أو الجنة، والحي ضد الميت جمع أحياء " ([2]) وقد جاءت اسم مبتدأ لخبر محذوف تقديره (هذا) معرفة بالألف واللام، وقد تكررت هذه اللفظة في القرآن الكريم في العديد من المواضع منها قوله تعالى :" الله لا إله إلا هو **الحي** القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم" ([3]) وتعني " الدائم بالبقاء " ([1])

---

[1]- مرجع سابق : جميل حمداوي – السيميوطيقا والعنونة– ص١٠٧

[2]- مرجع سابق: المعجم الصافي في اللغة العربية – ص١٣٩ = انظر: - - الفيروزابادي (العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي ٧٢٩-٨١٧هـ)– القاموس المحيط – الجزء الرابع – الطبعة الثالثة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م–ص٣١٥،٣١٦

[3]- القرآن الكريم : سورة البقرة آية ٢٥٥

وتأتي بمعنى " اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الدائم الوجود، الباقي حيا بذاته أزلا وأبدا الذي تندرج جميع المدركات تحت إدراكه ، وجميع الموجودات تحت فعله " ([٢])

ويلحظ من خلال ذلك إشارة كلمة الحي إلى عدة دلالات : منها الحياة والخصب والمطر والحق، وهي تشير في مجملها إلى الحياة والنماء التي تدل على الاستمرارية والحركة الدائمة، وأنه يدرج من جماليات أمكنة المجتمعات السكنية التي يشترك فيها الإنسان والمكان.

وتأتي كلمة اللاتيني في المعنى المعجمي " لاتيني Latinus نسبة إلى Latium وهو اسم المنطقة المحيطة برومة القديمة. وعربيت كلمة لاتيني قديما بصورة لطيني" ، وهو" اسم منسوب إلى لاتينيوم : في بلاد إيطاليا " رجل لاتيني – لغة لاتينية – الحي اللاتيني " ([٣]) " اللاتيني : في الأصل : المنسوب إلى لاتيوم، وهو سهل في إيطاليا ، يقال: لسان لاتيني ، ولغة لاتينية ، أي اللغة الإيطالية لروما القديمة باعتبارها اللغة النموذجية لمعظم مناطق الإمبراطورية الرومانية "([٤]) حيث أصبغ

---

[١]– جلال الدين محمد بن أبي بكر المحلي – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكرالسيوطي – تفسير الجلالين – الجزء الأول – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى ص٧٣

[٢]– أحمد مختار عمر – معجم اللغة العربية المعاصرة – عالم الكتب القاهرة – الطبعة الأولى ٢٠٠٨م – ص٦٠٠

[٣]– مرجع سابق : أحمد مختار عمر – معجم اللغة العربية المعاصرة – ص ١٩٨٦ = انظر: ف . عبد الرحيم – معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها – دار القلم دمشق– الطبعة الأولى ٢٠١١م – ص١٩١

[٤]– مجمع اللغة العربية – المعجم الوسيط – مكتبة الشروق الدولية القاهرة – الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م – ص٨١٤

الكاتب صفة الحي اللاتيني إلى مدينة باريس طابع البناء الفني الروائي رغم أصول هذه الكلمة إلى الإيطالية.

فعلى الرغم من بساطة العنوان ووضوحه في إشارته المكانية، إلا أنه يحمل بنية متماسكة عميقة ودلالة خفية يعلن عنها مضمون النص مع خط سير الرواية، فالمكان يعد للعنوان بمثابة " دالة حركية ثقافية لها قوانينها المعرفية، يفصح عن وجوده وفعله من خلال إمكانية قدرته على التفاعل الحي بين العناصر، ويشارك في تكوينها وبلورتها بما يتناسب ومساحة الحوار وأشكاله، والصراع الذي يتشكل في الرواية "([1]).

فالحي يشير بطبيعته إلى مكان، كما تشير كلمة اللاتيني إلى صفة أجنبية لهذا الحي، وتحمل تلك الصفة مكانة كبيرة لدى الكاتب الذي أبدى اهتماما كبيرا بها طول سير الرواية، التي كشفت من خلالها عن دلالة عميقة تثير مشاعر الكاتب في طرح مفارقة قوية بين تقاليد وعادات الشرق، مقارنة بالغرب من خلال عامل الصداقة مع المرأة والتعليم والثقافة التي توضح مدى التغاير الذي يظهر للشباب العربي عند اتصاله ببلاد الغرب.

ويُكون العنوان مع النص علاقة ثنائية جدلية متبادلة " فلا يتحقق المعنى المنشود للعنوان أو النص إلا من خلال العلاقة الجدلية التي تجمع بينهما "([2]) فيصيغ

---

[1]- فارس عبد الله بدر الرحاوي – ثقافة المكان وأثرها في الشخصية الروائية رواية (ليلة الملاك) أنموذجا – بحث مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية – مجلد ١١ ، العدد ٢- تاريخ ٢٠١١م – ص٢٦٣

[2]- توام عبد الله – التحليل السيميائي للخطاب الروائي (رواية كتاب الأمير – مسالك أبواب الحديد) لواسيني الأعرج نموذجا – رسالة ماجستير – كلية الآداب جامعة وهران الجزائر ٢٠٠٨/٢٠٠٩م- ص١٥٠

العنوان رؤية النص بصورة مجملة مختصرة، في الوقت الذي يفكك النص رموز ودلالات العنوان؛ لذا يعد العنوان مرآة للنص كما أن النص مرآة للعنوان، فيشير الكاتب إلى ذلك منذ بداية الرواية في مواضع عديدة منها " إنكم الآن في الحي اللاتيني " فيعبر بأسلوب التوكيد عن تواجده بالحي اللاتيني الذي أمل يوما في معايشته ، ولم يكتف بالتواجد فيه، بل أشار لدور الصداقة ومشاعر ذات البطل بين أصدقائه في أكثر من موضع من ذلك: " ولولا أن صبحي وعدنان كانا إلى جانبيه لشعر بالخوف والتهيب من أن ينتقل كذلك في أرجاء الحي اللاتيني"([1]).

ومن ذلك " طاف حول هذا الحي اللاتيني...وعزما منذ اليوم التالي على أن يطوفا بفنادق الحي اللاتيني بحثا عن غرفتين متواضعتين " ([2]) " واستقل المترو إلى الحي اللاتيني وهو يحس مزيجا من الغيظ والسخرية والعذاب"([3]).

فيشير الكاتب من خلال تبادل الإشارة بين النص والعنوان إلى حيثيات النص فيما يحتويه العنوان من مضامين تحمل الفشل والإحباط التي تعرض لها؛ لما يفقده من ثقة الأصدقاء الذين تعارف عليهم في هذا الحي اللاتيني فهناك " صلة وثيقة ومتلازمة بين النص والعنوان من جهة، وبين المؤلف والعنوان من جهة ثانية، ثم أخيرا بين المتلقي والعنوان"([4]).

وتتجسد معظم دلالات الحي اللاتيني في ذات البطل في محور دلالي واحد تسير الرواية لإبراز معالمه التي تتضح في مدى فشل ونجاح معايشة ذات البطل في

---

[1]- الرواية ص١٢

[2]- الرواية ص٤١

[3]- الرواية ص٢٦

[4]- باسمة درميش – عتبات النص – مجلة علامات ج٦١ ، مج ١٦، المملكة العربية السعودية جده – جمادي الأولى ١٤٢٨هـ – مايو ٢٠٠٧م – ص٤٢

التعامل مع الحي اللاتيني من حيث صداقة المرأة الغربية، وتحقيق النجاح في رسالة الدكتوراه التي سعى إلى باريس من أجل الحصول عليها، وهو هنا يمثل إحدى شخصيتين :" ذات فاعلة مستقلة تسعى إلى تغيير العالم من حولها، أو ذات منفعلة يصنع منها العالم كائنا جديدا أو يدمر الوجه البهيمي فيها "([1]).

وقد أبرزت تلك المعالم بعض السمات التي تحلت بها ذات البطل في التعامل مع جو باريس من حرية ورفاهية مفرطة لم يلمسها في بلده بيروت، كالحياء والصراحة والصدق ثم الالتزام بدراسته، التي سرعان ما تحررت الذات من هذا الفكر الشرقي؛ لتتجه لفكر غربي متحرر من معظم قيم وعادات الشرق التي تخلى عنها، كحماسته لصداقة المرأة الأجنبية ومخالطة جسدها.

كما لجأت الذات إلى السهر والخمر ولعب القمار ثم ختم بالزنى، الأمر الذي غاير من ذات البطل من الإيجاب إلى السلب عند معايشة لهذا الحي الذي عبر عن الحياة والنماء الغربي، والذي أشار إليه عند عودته إلى وطنه " الحمد لله .. لقد انتهينا الآن يا بني، أليس كذلك؟ وفي تلك اللحظة طافت بمخيلته حياته الباريسية كلها في الحي اللاتيني، وذكر أصدقاءه الذين سيعودون عما قليل إلى الوطن "([2]) حيث عكست تلك النهاية حياة ذات البطل عند عودته لوطنه بعد حصوله على الدكتوراه في صورة تعبر عن الرغبة والشوق والحنين لهذا الحي اللاتيني مرة أخرى، رغم ما خلفه من سلبيات تركتها الحياة الباريسية في وجدانه؛ لذلك عكس عنوان الحي اللاتيني ما عبر عنه النص من مضامين ودلالات ربطت بين بعض ما أعلنه

---

[1] – لطيف زيتوني – معجم مصطلحات نقد الرواية – مكتبة لبنان ناشرون – لبنان الطبعة الأولى ٢٠٠٢م – ص٣٤

[2] – الرواية ص٢٦٤

النص من قيم وعادات غربية اختلفت بدورها كليا عما تمسك به الشرق من تلك القيم والعادات المحمودة.

وقد وضع الكاتب تمهيدا للرواية هدف من خلاله تقريب عالم الرواية للقارئ وأحداثها خاصة أنها تربط بين عالمين مختلفين، أو يمكن القول بحضارتين مختلفتين هما الشرق والغرب، ومن خلال نظام خاص يحتوي على مجموعة من الكلمات والمفاهيم والقيم الفكرية والفنية التي يبين فيه حركة ذات البطل عند تركه لبلده بيروت متجها للحي اللاتيني عنوان الرواية، مشيرا إلى يقظته في تحقيق الحلم الذي بات قريبا من تحقيقه عند الوصول إليه.

وحملت سيميائية العنوان في **رواية الخندق الغميق** دلالة وحضورا وظيفيا ضمن البنية الحكائية لنص الرواية، ففي المستوى المعجمي تعددت التعريفات، فتأتي كلمة الخندق بمعنى الخفير والوادي " الخندق : خفير حول المكان . وأخدود عميق مستطيل ، يحفر في ميدان القتال ، ليتقي به الجنود. – والوادي. ج: خنادق " وقيل " " خندق : الخندق: الوادي . والخندق: الخفير. وخندق حوله: حفر خندقا. والخندق : المحفور " ([1]) و" خندق يخندق ، خندقة ، فهو مخندق، والمفعول مخندق للمتعدي. خندق الجندي خندقا : حفره . خندق (مفرد) ج (خنادق) حفرة عميقة مستطيلة حول المكان ، وقد تحفر في ميدان القتال لتحصين الجنود " حرب الخنادق " ملجأ، مكان مأمون تحت الأرض يتقى به من الغارات الجوية " هرع إلى خندقه

[1]-- مجمع اللغة العربية – المعجم الوسيط – مكتبة الشروق الدولية القاهرة – الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م- ص٢٥٨ =انظر أيضا : مرجع سابق: لسان العرب – ابن منظور ، ص١٢٧٣

بعد حصار مقره" ([1])، فهي على مستوى الدلالة تحمل كلمة الخندق عدة دلالات منها الخفير والوادي، والمكان المحفور، والملجأ والحصن.

وتأتي كلمة الغميق من الفعل غامق، يغمق، يقال" غمقت الأرض أو النبات – غمقا : غمقت . والبلد : كان كثير الماء رطب الهواء. فهو غمق. (غمقت) الأرض – غمقا : غمقت . (الغامق) من الألوان : المائل إلى السواد . (مج) – (الغمق): الندى " ([2]) " الغمق – محركة ركوب. الندى الأرض غمقت الأرض مثلثة فهي غمقة كفرحة ذات ندى وثقل أو قريبة من المياه ونبات غمق ككتف لريحة خمة وفساد لكثرة الندى وإذا غم البسر ليدرك وينضج فهو مغموق والغمقة محركة داء يأخذ في الصلب وبعير مغموق" ([3]) وتوحي كلمة الغميق عدة دلالات منها كثرة الماء، واللون المائل إلى السواد، والندى.

وتضمن العنوان بعض ما يحمله النص من دلالات توحي بالألفة والمحبة لهذا المكان، وهو أحد الأحياء المشهورة في بيروت، ويتمتع بمكانة تاريخية بارزة؛ لمشاركته في أحداث ثورة ١٩٥٨م ضد الاحتلال الفرنسي، حيث أرجع تسميته البعض إلى أنه كان أشبه بساقية حاصرها العمران، فهرب الماء إليها ، وقد سماه البعض بالعامية يقال: "الخندق فرادة المنطقة في اسمها أولا. لا خنادق – نظريا – في بيروت سوى هناك، رغم ذلك أضيفت مفردة الغميق للدلالة على هول ما أهله يقولون إنه أي الخندق في البدء كان مساحة منخفضة بين منطقة البسطة والبلد"([4]).

---

[1]– مرجع سابق : أحمد عمر مختار – معجم اللغة العربية المعاصرة – ص٧٠١

[2]–مرجع سابق : المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – ص٦٦٣

[3]– مرجع سابق : الفيروز ابادي – الجزء الثالث – ص ٢٦٥

[4]– جريدة الأخبار – العدد ١٧٥٦– بيروت – الجمعة ١٣ تموز ٢٠١٢ م – ص١٢

وتتألف الرواية من قسمين كل منهما يحمل دلالات وأفكار مرتبطة ببعضها تسير بشكل متدرج للنهاية، حيث يعلن العنوان عما يحمله الخندق الغميق من دلالات دينية وتعليمية واجتماعية وثقافية تعبر عن الألفة والتجانس، وتتشكل جميعها في إطاره " الأبعاد الداخلية ذات السمات النفسية المرتبطة بمشاعر الألفة والتجانس أو الوحشة والغربة والتناقض، إذ يعبر المكان عن حالات نفسية بدلالاته الرمزية "([1]).

وتتضمن تلك الدلالات أبعاد تركيبية في العديد من الفقرات والمقاطع السردية منها التآلف الاجتماعي "كان ذلك اليوم يوم جمعة يلتقي فيه الصبية في ذلك الشارع من شوارع حيهم، حي الخندق الغميق، فيلعبون طوال نهارهم ، ويمرحون ما طاب لهم المرح، ثم يعودون إلى بيوتهم مشعثين متعبين.... وكان يهبط الخندق الغميق مع صبية الحي بزهو وخيلاء، حتى يشرفوا على شارع رئيسي في المدينة كانوا يعتبرونه نهاية حيهم وطليعة حي جديد لم يجرؤا يوما على اقتحام أسواره "([2]) ما يشير لأهمية هذا الحي لذات سامي في تمتعه بحياة صغره مع صبيان الحي.

ومن تلك المقاطع التي تبين دلالة المحبة والألفة لهذا المكان أيضا " وكانوا يحبون الخندق الغميق ويعتبرونه حيهم، ويجدون فرحة كبيرة في سلوكه هبوطا وصعودا"([3]) ومن ذلك "فيحس بعض كآبة ويحن إلى إخوته ورفاقه في حي الخندق الغميق " ([4]) كما يشير هذا الحي لدلالة عدم الاستقرار والضياع " لقد تزعزع بيتنا في حي الخندق

---

[1]- باسمة درميش – عتبات النص – مجلة علامات ج٦١ ، مج ١٦، المملكة العربية السعودية جده – جمادي الأولى ١٤٢٨هـ – مايو ٢٠٠٧م – ص٦٤

[2]- الرواية ص١٢- ١٣

[3]- الرواية ص١٣

[4]- الرواية ص٢٣

الغميق لموت إنسان كنا نحبه ونكرهه في وقت واحد "([1]) وقد اشتملت تلك المقاطع السردية على نص عنوان الرواية، وأشار العنوان في تلك المقاطع العديد من الدلالات المختلفة التي منها الاجتماعيةوالنفسية، تبعا للموقف الذي اشتملت عليه، والتي ترجع إلى ما يتمتع به المكان من المحبة والألفة والحنان والمرح والحرية والشجاعة.

وقد شكل عالم الخندق الغميق مجتمعا ثقافية اختلفت فيه الرؤى والأفكار بين أفراد إحدى الأسر البيروتية الملتزمة دينيا، والتي كان يأمل رب الأسرة في أن يصبح أحد الأبناء شيخا يفتخر به بين أفراد العائلة، وقد تحقق هذا الأمل منذ بداية الرواية في دلالة ثقافية ودينية تعبر عن مدى التزام الأسرة ، والنشأة التي نمت عليها ذات البطل، والذي من خلالها بنى الكاتب العديد من الأفكار والدلالات التي اشتمل عليها النص، وحملها العنوان في بنيته العميقة في صورة متوازية مع النص " تشكيل الدلالة، وتفكيك الدوال الرمزية، وإيضاح الخارج قصد إضاءة الداخل" ([2]) والتي ابتدئتها ذات سامي منذ أعلن رغبته في أن يصبح شيخا ثم إعراضه عن تلك الرغبة في صورة متناقضة تبين اضطراب أفكار ذات البطل بين الأمل والرجاء والنجاح، وبين الاحباط واليأس والفشل من خلال إنشاء بعض الأزمات المشتركة بين ذات البطل والذوات الأخرى من إخفاقات وجودية اعتمد معظمها على بعض الدلالات النفسية التي تختلط فيها العواطف ومشاعر الحب والصداقة.

ويثير النص علاقة قوية رئيسة تربط بينه وبين العنوان، وتقوم تلك العلاقة في بداية الرواية ووسطها ثم نهايتها، فيشكل العنوان " فكرة مختزلة تسمح بخلق تصور عام

---

[1] الرواية ص١٦٨

[2] – مرجع سابق : جميل حمداوي – السيميوطيقا والعنونة– ص١٠٩

من أفكار وممارسات منسجمة ومنظمة، ضمن إطار شامل من الرؤية المعرفية والجمالية "([1]) حيث يعلن الكاتب منذ البداية عن استقرار وترابط أفراد تلك الأسرة في حي الخندق الغميق، في ظل ارتباط سامي بذات سميا التي أنشأت علاقة حب بينها وبينه من ناحية أخرى، وفي وسط الرواية أعلنت عن حزن وفشل وكآبة عند رغبة البطل في العودة للحي وحنينه إليه، وفشله في إخفاق علاقته بسميا لاعتراض الأهل على تلك العلاقة.

وقد أثر ذلك على تشتت أفكار تلك الأسرة من جهة أخرى، وفي نهاية الرواية تتفتت الأسرة بعد خلافات قوية بين الأب والأم والأبناء ضمنت جميعها داخل هذا الحي الغميق، الذي أسفر عن موت الأب وتشتت أفراد الأسرة؛ لذلك شكل حيز حي الخندق الغميق إطارا موجها ومنجزا وجزءا رئيسا في امتداداته الدلالية ضمن حركة السرد التي تختص بنقل الحادثة من صورة الواقع إلى صورة اللغة، ونمو الحدث وتشعبه بين الواقع والفن؛ لأن العنوان يمثل " المولد الفعلي لتشابكات النص، وأبعاده الفكرية والأيديولوجية"([2]).

إلا أن عنوان الخندق الغميق احتل مكانة مميزة في ظهوره وسط الرواية، الأمر الذي زاد من قيمته الدلالية وفاعليته مع الذوات، ما زاد من ثراء النص بتدفق الأفكار، وزيادة الصراع بين الذوات وبعضها، فيبتدأ الكاتب بافتتاحية له بالخندق الغميق، ثم يأخذ نشاطه تدريجيا بعرض القضايا الداخلية المراد الإشارة إليها التي منها علاقة المرأة برجل الدين والتغاير الذي تحدثه، وتختتم الرواية بإثارة قضية رحيل الأب وتفتت الأسرة في كل اتجاه " تعلقت أمي بي ذات صباح وهي تقول إنها لن

[1]- مرجع سابق : باسمة درميش – عتبات النص–ص٤٣

[2]- مرجع سابق : جميل حمداوي – السيميوطيقا والعنونة – ص١٠٦

تستطيع أن تعيش في بيت يرحل عنه ثلاثة من أهله.. وبكت أمي وابتهلت إلى ألا أرحل ، وقالت انها سوف تموت في الفراغ الذي يحيط بها"([1]).

أما في **رواية أصابعنا التي تحترق**؛ فقد حقق العنوان دورا كبيرا وحضورا مميزا في الترابط بين العنوان ونص الرواية ، حيث اختلف نص العنوان وتركيبه عن الروايات المتناولة بالدراسة في إنه يعبر عن جملة تامة المعنى، وتحمل تلك اللفظة العديد من الدلالات، فتشير كلمة أصابع في المعاجم لعدة معاني منها "الأصبع " : أحد أطراف الكف أو القدم. ج) أَصابع. وتطلق الإصبع على الأثر. يقال : عليه من الله إصبع حسنة: أُثر نعمة . وهو حسن الإصبع في ماله " ([2]) و" الأصبع: واحدة الأصابع، تذكر وتؤنث. الإصبع : الأثر الحسن. رجل مصبوع: متكبر . الصبع: الكبر التام. صبع فلانا: دله عليه بالإشارة . صبع على القوم يصبع صبعا: طلع عليهم . فلان مغل الإصبع: إذا كان خائنا. صبع به وعليه يصبع صبعا: أشار بإصبعه واغتابه أو أراده بشر والأخر غافل منه " ([3]) و" صبع . الأصابع : واحدة الأصابع ، تذكر وتؤنث ، وفيه لغات : الإصبع والأصبع بكسر الهمزة وضمها والباء مفتوحة، والأصبع ، والأصبع والإصبع مثال اضرب ، والأُصبع بضم الهمزة والباء والإصبع والباء، والإصبع نادر ، والأصبوع: الأنملة مؤنثة في كل ذلك "([4]).

ومن خلال ذلك يتبين أن لفظة أصابع توحي بالعديد من الدلالات التي تشير لمكانتها المميزة وحسن اختيارها كعنوان يوحي بجزء من الجسد للدلالة على أحد

---

[1]- الرواية ص١٦٩

[2]-مرجع سابق : المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية– ص٥٠٦

[3]- مرجع سابق : صالح العلي الصالح – أمينة الشيخ سليمان الأحمد – المعجم الصافي في اللغة العربية –ص٣٢٦

[4]- مرجع سابق : ابن منظور – لسان العرب – ص ٢٣٩٥

أطراف الكف أو القدم ، والأثر الحسن، والكبر التام ، والدليل على الإشارة الجسدية، والخيانة.

أما كلمة " التي " فالأرجح لدى معظم الكتاب اللغويين، تشير لاسم من الأسماء الموصولة في اللغة، وقد أشار البعض على إنها " اسم موصول مبهم معرفة ، تأنيث الذي على غير صيغته " (١) " وتعني أيضا "اسم موصول مختص لأنه يدل على جنس خاص مذكر" (٢) . وهي لفظة تدل على المفردة المؤنثة التي تربط بين الجمل وبعضها.

وتشير كلمة " تحترق" في المعجم من الفعل حرق " حرق يحرق ويحرق، حرقا، فهو حارق وحريق، والمفعول محروق وحريق، حرق أنيابه: حك بعضها ببعض حتى سمع لها صريف ، حرقه الجراج : آلمه، حرقه بالنار: جعل النار تؤثر فيه أثرها المعهود، احتراق يحترق ، احتراق ، فهو محترق، احتراق الشيء: اشتعل ، حرقته النار، تحرق فلان : اشتد غيظه واحتدمت ناره " تحرق غيظا " . تحرق شوقا : أثر فيه الشوق تأثيرا شديدا"(٣).

وتأتي كلمة تحترق من " الحرق، بالتحريك : النار ، والتحريك : تأثيرها في الشيء . الأزهري : والحرق من حرق النار ... والحرقة : ما يجده الإنسان من لدعة حب أو حزن أو طعم شيء فيه حرارة .. والحرق: أن يصيب الثوب احتراق من النار، والحرق: احتراق يصيبن من دق القصار. ابن الأعرابي : الحرق النقب في الثوب من دق القصار، جعله مثل الحرق الذي هو لهب النار" ... ويقال : " حرق – حرقا

١- مرجع سابق : مجمع اللغة العربية – المعجم الوسيط – ص٨١٤

٢- محمد خير الحلواني – الواضح في النحو – دار المأمون للتراث بيروت – الطبعة السادسة١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م –ص٤٩

٣- مرجع سابق : ابن منظور – لسان العرب : ص٨٤٠:٨٤٢

: انقطعت حارقته، ويقال : أحرقه بالنار . والشيء: أهلكه. والحريقة اتخذها. ويقال : أحرق فلانا: برج به وآذاه. وأحرقه باللسان : عابه وتنقصه، ويقال: أحرق لنا من هذه القصبة نارا : أقبسنا ، الحرقة : الحرارة. وهو ما يجده الإنسان من لذعه الطعم أو الحب أو الحزن " ([1]).

وتشير لفظة " تحترق " لعدة دلالات في معناها الباطني، منها الإشارة إلى الاحتراق، والاشتعال، والحرارة ، والآلم، وتشير أيضا إلى الولع بالحب أو الحزن أو الطعم، والشوق، والعيب والنقصان والقبس.

وتقع لفظة أصابعنا في بداية الكلام كاسم مبتدأ متصل به ضمير نا الفاعلين في محل مضاف إليه، أما التي فتشير لاسم موصول للمؤنث للدلالة على إنشاء صلة تقوم فيها بالربط بين الأصابع والاحتراق، وهي من الأسماء الموصولة المبنية للعاقلة وغير العاقلة، في حين تشير لفظة تُحترق إلى فعل مضارع مبني للمجهول، للدلالة على شمولية اللفظة في عدم تحديد القائم بالفعل من ناحية، وما تحمله في تأملها ودلالاتها داخل النص من ناحية أخرى.

ويضع العنوان عدة تساؤلات مقترحة لتشويق القارئ إلى معرفة ما يحتويه النص منها: لماذا الأصابع تحترق ؟ وكيف؟ ولمن تلك الأصابع؟ وهل احترقت ؟ وما نتيجة هذا الاحتراق ؟ العديد من الأسئلة يمكن أن تطرح من خلال العنوان، إلا أن القارئ مع تتبعه لأحداث الرواية يتبين له إجابات تلك الأسئلة التي تدور جميعها حول ذات سامي المحورية مع بقية الذوات الأخرى من الأصدقاء أمثال كريم ورفيقة شاكر والزوجة إلهام وغيرهم.

[1] – مرجع سابق : مجمع اللغة العربية – المعجم الوسيط – ص ١٦٨

وقد عبرت الذوات عن ألفاظ العنوان بصورة منفردة احتلت فيها لفظة الأصابع الأغلبية في توظيفها داخل الرواية، وترتكز تلك الدلالة في العنوان على أساس تواجدها بكثرة في الرواية منذ البداية حتى النهاية؛ متمثلة في اهتمام ذات سامي بالكتابة ، ودور مجلة الفكر الحر في نشر الثقافة، والأزمات التي تتعرض لها المجلة من ماليات أو اضطهاد ما تنشره من معلومات قد تخالف قوانين السلطة في بعض البلدان مثل العراق، فعندما يطرح العنوان عدة احتمالات وتأويلات للنص تقوم الذات بالتهيؤ الذي " يحفز المعرفة الخلفية للمتلقي ويعيد توزيعها وتنظيمها بشكل يجعله واحدا من أهم العوامل البنائية لتأويلاته واحتمالاته"([1]).

وقد سلط العنوان الضوء على العديد من مواضع الرواية التي اختلف موقع ألفاظه فيها، وقد أشار الكاتب في مناسبات عدة للفظة "أصابع " التي كان لها نصيب الأفضلية في الإشارة إلى الموقف ومناسبته المتغايرة المعاني من موضع لآخر، حيث يعمل العنوان على " إحالة تناصية وتوضيح للمعنى، وتفصيل لما هو غامض وغير مبين"([2]) وإن كان النص لم يذكرها صراحة أو كاملة كما بالعنوان، سوى في نهاية الرواية عندما أشار لمجمل ألفاظه التي خلت فيها لفظة أصابع من الضمير المتصل بها (نا) عوضا عنها بضمير الغائب تارة، وخالية من الضمير تارة أخرى؛ ذلك عند كتابة ذات سامي لرواية جديدة، فمنذ السطر الأول للرواية يشير الكاتب لدور الأصابع وانعكاسها في الكتابة والوظيفة التي تقوم بها " الأستاذ سامي؟ ورفع رأسه عن الأوراق ، فرآها واقفة إزاء الباب ، وأصابعها ما تزال معلقة في الهواء ، بعد

[1]- مرجع سابق : محمد فكري الجزار – العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي– ص٣٠

[2]- مرجع سابق : جميل حمداوي – السيميوطيقا والعنونة– ص١٠٩

أن دقت دقا خفيفا لم يكد يسمعه " ([1]) فتشير أصابع ذات إلهام للانتظار بعد أن قامت بفعل الدق على الباب ، في المقابل ترك ذات سامي أصابعه بصورة إيحائية تشير للألفة والراحة عند رفع رأسه لرؤية الطارق، ما يبين التمهيد للاتصال بين سامي وإلهام.

ومن ذلك أيضا " ولا يدري لماذا انطبعت فجأة أصابع وحيد الورقة أمامه ... بلى ! إنه الآن يذكر هذه الأصابع.... وحين وضع الشيك بصرف هذا المال أمام عينيه، تقلصت أصابع وشلت يده جبنا عن توقيعه" ([2]) وهنا إشارة وإيحاء إلى أهمية حركة الأصابع في توقيعها على الشيك الذي يقوم بحل مشكلة المجلة التي تعاني منها، وتهددها بالإغلاق، ما يدل على السعادة الغامرة التي شملت سامي، حيث يبين الكاتب أُثر التوقيع على الشيك من جانب ذات وحيد الذي يمنح المجلة هذا الشيك، ومن جانب آخر تتشوق ذات سامي لحل تلك الأزمة خاصة عند رؤية ذات وحيد التوقيع على الشيك للمجلة.

فالعنوان قد يكون سببا في الكشف عن ملابسات النص وبنياته السطحية والعميقة، وقد يكون العكس فيقوم النص بالكشف عن غموض العنوان ودلالة ألفاظه، كما أن العنوان غالبا ما يكون " نتيجة للنص، وفق معادلة تقوم على علاقة تبادلية، أي أنه بنية لها بعدها الفكري الذي يمتد في جوهر النص " ([3]) كذلك النص قد يكون نتيجة لقضية يطرحها العنوان ويجيب عنها النص.

---

[1]- الرواية ص٩

[2]- الرواية ص٢٣

[3]- مرجع سابق : باسمة درميش – عتبات النص – ص٥٤

فالمساحة الدلالية للعنوان في الرواية تمثل مساحة أكبر من الحيز الدلالي للوحدات والمقاطع، فتمنح لفظة الأصابع الشوق وحرارة الحب، ذلك عند شوقه لرؤية ذات رفيقة شاكر" ها هي تتجسد لديك ، وأنت تكاد الآن تتحسس الصورة بأصابعك شبه واثق من إنها ستنتفض بالحياة "([1]) ولم يكتف بهذا بل وصف تلك الأصابع بالملوثة في المسرحية التي قدمتها ذات كريم للنشر بالمجلة، وما بها من رأي سيء في ما يسمون بالأرجوانيين، ما يفقد المسرحية رونقها "فأدرك أن كريم لن يمس بعد حرفا في مسرحيته . ولكنه سأله : – قل قرأت مسرحيته " الأصابع الملوثة " الفرنسية؟ وحين هز كريم برأسه نفيا، قال له : – إنها تعالج الموضوع نفسه تقريبا"([2]) ويشير هنا لدلالة تبين ما تحمله المسرحية من فساد.

وترتبط الأفكار الواردة في معظم مقاطع الرواية ارتباطا وثيقا بالعنوان إشارة أو تناصا؛ لأن العنوان في مجمله يمثل ويحيل إلى "لغة موازية له هي العمل "([3]) ومن تلك المقاطع ما يشير على دور الأصابع العاطفي المتبادل"غير أنه ما عتم أن شعر بأصابعه تضغط على أًصابعها، ثم يشتد ضغطها ويشتد، فيما يحس بأن فكيه ينقبضان، وأن أسنانه تكز فيما بينها . ولم ترتخ أصابعه إلا حين سمع رفيقة تصرخ صرخة ثاقبة ما تلبث أن تكفكفها فيما هي تنظر حولها شبه مذعورة " ([4]) حيث يبين هذا المقطع تلك العلاقة العاطفية التي تربط بين ذات سامي ورفيقة، ودور تلك

[1]– الرواية ص٣١

[2]–الرواية ص٤٤

[3]– مرجع سابق : محمد فكري الجزار – العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي– ص٣٩

[4]– الرواية ص٧٠

الأصابع في بروز تلك العلاقة بين الذوات، فالعنوان يعد علامة رمزية سيميائية " تتناص مع متنها بطريقة حوارية يحاول فيها المتن تعليل العنوان"([1]).

وتشير تلك الأصابع من ناحية أخرى لدلالة الألم الذي تعاني منه أصابع الذات، مما تتعرض له من ضغط مؤلم يوحي إليها بالألم والجزع، ومن ذلك ما يبين دلالة الحركة " فوجئ بها لأنه لم يرها إلا واقفة بالباب، كأنها أقبلت تمشي على رؤوس أصابعها. وحين نهض مرحبا، سارعت تقول: – جئت قبل الموعد لأن أستاذ المادة لم يحضر"([2]) وتشير في هذا لدلالة الحب والعلاقة العاطفية التي جذبت ذات إلهام، ما جعلها تنتظم في موعدها.

وتوحي بعض ألفاظ العنوان لدلالة تشتمل الحيرة والتردد في السيطرة على حركة أصابع اليد التي وصفها بالمرتعشة نتيجة مراقبة ذات سامي لها أثناء الكتابة " كان ينظر إليها في تشوق وانجذاب ، منذ ابتدائها لدى الكم القصير الضيق، حتى انتهائها بالأصابع الدقيقة الممسكة بالقلم . وكانت تلك الشامات الثلاث السوداء تشد نظرته بين الفينة والفينة حتى لتكاد تغرقه في الشرود، لولا أن الأصابع كانت تقف، فتعطيه إشارة التنبيه لمتابعة القراءة... ولكنه فوجئ بيدها تلك تنفرج أصابعها فتترك القلم يسقط على المكتب، فيما هي ترتعش "([3]) ما يدل على الاضطراب والقلق فيما تقوم به الذات من تبادل حركة الأصابع من وضع التحكم والسيطرة إلى التوقف ثم الترك الارتعاش وعدم السيطرة، ما يعكس رؤية العنوان الحالة النفسية التي تكتب بها الذات، نتيجة ما تحمله من حزن وقلق على المستقبل.

---

[1]– فريد حليمي – سيميائية العنوان في الرواية الجزائرية المعاصرة (١٩٩٥– ٢٠٠٠) – رسالة ماجستير – كلية الآداب جامعة منتوري قسنطينة – الجزائر ٢٠٠٩/٢٠١٠م– ص٩٣

[2]– الرواية ص ١١٠

[3]– الرواية ص١١٢ ،١١٣

وإذا كان الكاتب لم يشر لتناص العنوان في مقاطع الرواية بشكل واضح ، فإنه في نهاية الرواية أشار مبينا في الخاتمة شبه تناص، حيث تتردد فيها الذات للبوح بما داخلها، وتنشغل ذات سامي بكتابة رواية جديدة، وتترقب ذات إلهام الموعد الذي ستتناقش فيه مع سامي ماضيه وذكرياته المؤلمة، والتي تشير إليه بالحساب في ظل تعبه وإرهاقه من السفر " وسرت على رؤوس أصابعي. إنني لا أريد أن يتنبه إلى وجودي ، وأطللت من فوق كتفه، كاتمة أنفاسي. كان أمامه ورق كثير أبيض . أليس هذا مظهره ؟ وذكرت ثلج بعلبك. إنه يكتب . وقد خيل إلى أن أصابعه التي تمسك بالقلم، كانت تحترق إنه يكتب .... وخرجت من الغرفة الصغيرة على رؤوس أصابعي، كما دخلت . وتساءلت : ترى، متى سأناقشه الحساب؟ "([1]).

وتبرز الأصابع للدلالة على الخفة في الحركة، والخوف من الآلام التي يحملها سامي وتصفها بالمليئة بالهموم لدرجة الاشتعال مما يكتب؛ ذلك عند انسجام وتركيز ذات سامي في كتابة وتأليف رواية جديدة، إلا أن الكاتب لم يبين حقيقة ما يقوم به، بل جعل تلك الأصابع التي تكتب وتحترق من درب الخيال الذي خيم على ذات إلهام عند مناقشة زوجها في مشكلات تعرضت لها وصفتها بحساب له ماضي بينهما؛ ليكون العنوان بذلك بمثابة"قصد ، ودلالة"([2]).

وقد افتقرت الروايات المتناولة للعناوين الداخلية التي استغنى عنها الكاتب بشكل ملحوظ في جميع أعماله الروائية، واكتفى بالترقيم الداخلي بين كل قسم من أقسام الرواية رغم أهمية تلك العناوين الداخلية في تفسير بعض الغموض الذي يحمله العنوان للقاري، والذي عد من التقنيات الحديثة المستخدمة في الكتابة الروائية

[1]- الرواية ص ٢٩١،٢٩٢

[2]- مرجع سابق : فريد حليمي – سيميائية العنوان في الرواية الجزائرية – ص٥٢

المعاصرة التي تمنح العنوان أهميته في الوصول لبنية النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها، بجانب ذلك أن تلك العناوين الداخلية لها عدة وظائف منها مساعدة الكاتب في عرض المزيد من الرؤى والأفكار بشكل منظم من جهة، ومحاولة استراحة للقارئ من القضية التي يعرضها من جهة ثانية، وكمحاولة لتغاير الموضوع في الانتقال لعرض فكرة جديدة مختلفة من جهة ثالثة؛ إلا أن الكاتب مع تلك الأهمية والميزات لم يستخدمها، ولم يوظف لتلك العناوين الداخلية؛ ما أفقد الرواية جاذبيتها للقارئ مع خط سير الرواية من ناحية، وترابط بعضها الفني من ناحية أخرى، الأمر الذي يؤخذ عليه في تلك الأعمال الروائية الثلاث رغم نجاحه في تكوين البناء الروائي (الشكل والمحتوى) بشكل رائع جعله يصنف عالميا في **رواية الحي اللاتيني.**

في الخاتمة يمكن القول أن السيميائية عدت للعنوان بمثابة مفتاحا للكشف عما يحمله النص من غموض ودلالات في روايات سهيل إدريس، حيث مثلالعنوان إلقاء الضوء على بعض المكونات الدلالية في النص الروائي عند سهيل إدريس التي تشير لمدى حرية الفكر والكتابة في الصحف والمجلات، والمشكلات التي تواجهها من قمع وفقر مادي، وطريقة حلها بشكل سليم لا يسبب ضررا للآخرين خاصة، كما ألقى الضوء على انعكاس ألفاظ العنوان عند الإشارة لدور المرأة في حركة الكتابة والنشر، ومساندتها للرجل في أعماله، ودلالة ذلك.

وقد اعتمدت الروايات الثلاثة على دلالة حقيقة في توظيف العناوين التي تشير جميعها للمكان الذي يوحي بالألفة والسكينة والراحة لدلالته المكانية التي وظفها الكاتب من واقع معايشته لحاضره، وإن كان تسلسل تلك العناوين لسنة نشر الروايات يطرح تغايرا مختلفا على تجربته الحياتية التي يسردها داخل تلك الأعمال، فكتبت **رواية الحي اللاتيني**سنة ١٩٥٣م، وكتبت **رواية الخندقالغميق** سنة ١٩٥٨م، ثم

كتبت **رواية أصابعنا التي تحترق** سنة ١٩٦٢م، إلا أن تلك الروايات خالفت مسار حياة الكاتب في الترتيب، حيث سرد رحلة دراسته في باريس، وانتقل لسرد سيرته الذاتية وسط أهله وبلده بيروت، ثم أشار لبعض أعماله بعد عودته من فرنسا، وكان من الأرجح أن يبدأ بتلك السيرة الذاتية في حي الخندق الغميق؛ لينتقل إلى رحلة دراسته في فرنسا بالحي اللاتيني، ثم يعود بعدها للوطن والأعمال التي قام بها في أصابعنا التي تحترق.

فرغم أن عنوان **رواية الحي اللاتيني** كان يمتلك مكانة كبيرة لدى الكاتب لأنه عايش فيه واقعا حرا متقدما مثقفا ، وإن كان توظيفه أكثر تركيزا ودقة من الخندق الغميق، إلا أن **رواية الخندق الغميق** تمتعت بإشارة دلالية في نشأته الدينية والاجتماعية التي عدت بمثابة أساسا بنى عليه القيم والمبادئ السامية، وكان انطلاقة نحو مستقبل مشرق متحللا من الالتزام والتقاليد العربية، بجانب عشق الكاتب لهذا الخندق الغميق، وهو أحد أحياء بيروت، الذي وجد فيه طفولته ومرحه وسعادته مع أصداقائه من الحي، بجانب ثقافته التي كونها بجانب معهده الديني، حيث تعلم اللغة الفرنسية، وأخذ في العمل بالترجمة حتى سافر لفرنسا.

وقد احتل عنوان **أصابعنا التي تحترق** مكانا محدودا في مجلته التي قام على إنشائها وإدارتها، إلا إنه لم يجد فيها راحة أو مرح أو سعادة؛ لكثرة ما تعرض له من فقر ومعارضة فكرية لعمله؛ فكانت إشارته لعنوان المكان في **الحي اللاتيني والخندق الغميق** ذات دلالة حسية تشملها حركة الذات في الداخل، في حين كانت في **أصابعنا التي تحترق** ذات دلالة معنوية لا تشعر بها إلا حين تُلمس.

أهم المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

- القرآن الكريم : سورة البقرة .

- رواية الحي اللاتيني– دار الآداب بيروت – الطبعة الأولى ١٩٥٣م – الطبعة الرابعة عشر ٢٠٠٦م.

- رواية الخندق الغميق – دار الآداب بيروت – الطبعة الأولى ١٩٥٨م – الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

- رواية أصابعنا التي تحترق – دار الآداب بيروت – الطبعة الأولى ١٩٦٢م.

المراجع:

- أحمد مختار عمر – معجم اللغة العربية المعاصرة – عالم الكتب القاهرة – الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

- ابن منظور(محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري) – لسان العرب– دار المعارف – القاهرة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري٢٨٢هـ – ٣٧٠ هـ– تهذيب اللغة – الجزء الثالث عشر – الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٤هـ –١٩٦٤م.

- الجيرداس جوليان غريماس – في المعنى – ترجمة دراسات سيميائية – تعريب : نجيب غزاوي – مطبعة الحداد – اللاذقية سوريا ١٩٩٩م.

- الفيروزابادي (العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي ٧٢٩–٨١٧هـ)– القاموس المحيط – الجزء الرابع – الطبعة الثالثة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م.

– الفيروزابادي (العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي ٧٢٩-٨١٧هـ)– القاموس المحيط – الجزء الثالث – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مطابع الأميرية – الطبعة الثالثة – ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

– بسام موسى قطوس – سيميائية العنوان – مكتبة كنانة – وزارة الثقافة عمان الأردن – الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

– جبران مسعود – معجم الرائد – دار العلم للملايين للنشر بيروت – الطبعة السابعة ١٩٩٢م.

– جلال الدين محمد بن أبي بكر المحلي – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكرالسيوطي – تفسير الجلالين – الجزء الأول – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى.

– جميل حمداوي – شعرية النص الموازي(عتبات النص الأدبي)– دار نشر المعرفة – الرباط المغرب – ٢٠١٤م.

– صالح العلي الصالح – أمينة الشيخ سليمان الأحمد – المعجم الصافي في اللغة العربية – دار الشرق الأوسط – الرياض السعودية – الطبعة الأولى ١٩٨٩ م

– مجدي وهبة– كامل المهندس – معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب – مكتبة بيروت لبنان – الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

– مجمع اللغة العربية – المعجم الوجيز – طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم مصر ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

– مجمع اللغة العربية – المعجم الوسيط – مكتبة الشروق الدولية القاهرة – الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

– محمد خير الحلواني – الواضح في النحو – دار المأمون للتراث بيروت – الطبعة السادسة١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

– محمد فكري الجزار – العنوان وسيميوطيقا الاتصال – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٨م.

– معجم الوجيز – مجمع اللغة العربية الطبعة الرابعة – القاهرة – ٢٠٠٤م.

– فريزة أعمر رافيل – التشكيل الدلالي في رواية السمك لا يبالي لإنعام بيوض– منشورات الاختلاف دار الفارابي – الجزائر– الطبعة الأولى٢٠١٣م.

– لطيف زيتوني – معجم مصطلحات نقد الرواية – مكتبة لبنان ناشرون – لبنان الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

رسائل علمية:

- توام عبد الله – التحليل السيميائي للخطاب الروائي (رواية كتاب الأمير – مسالك أبواب الحديد) لواسيني الأعرج نموذجا – رسالة ماجستير – كلية الآداب جامعة وهران الجزائر ٢٠٠٨/٢٠٠٩م.

– فريد حليمي – سيميائية العنوان في الرواية الجزائرية المعاصرة (١٩٩٥– ٢٠٠٠) – رسالة ماجستير – كلية الآداب جامعة منتوري قسنطينة – الجزائر ٢٠٠٩/٢٠١٠م.

– ف . عبد الرحيم – معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها – دار القلم دمشق– الطبعة الأولى ٢٠١١م.

– ليندة جنادي – هبة مفتاحي– سيميائية العنوان في روايات محمد مفلاح (قصص الهواجس وشعلة المايدة أنموذجا) – رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة الجزائر ٢٠١٥م.

المجلات :

– أحمد المنادي – النص الموازي – مجلة علامات ج٦١ –مج ١٦– المملكة العربية السعودية جده – جمادي الأولى ١٤٢٨هـ مايو ٢٠٠٧م .

– باسمة درميش – عتبات النص – مجلة علامات ج٦١ ، مج ١٦، المملكة العربية السعودية جده – جمادي الأولى ١٤٢٨هـ – مايو ٢٠٠٧م .

– جميل حمداوي – السيميوطيقا والعنونة – مجلة عالم الفكر – المجلد الخامس والعشرون – العدد الثالث – الكويت – يناير / مارس ١٩٩٧م .

– فارس عبد الله بدر الرحاوي – ثقافة المكان وأثرها في الشخصية الروائية رواية (ليلة الملاك) أنموذجا – بحث مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية – مجلد ١١ ، العدد ٢– تاريخ ٢٠١١م.

-جريدة الأخبار – العدد ١٧٥٦– بيروت – الجمعة ١٣ تموز ٢٠١٢ م .